الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1114 2022/10/4

ملف العدد

الإبداع

ضرورة ١-٢

أول الكلام

فضاءات بلا حدود ...

▪ ديب علي حسن

إذا كان أينشتاين يقول: المعرفة محدودة بينما الخيال يطوف العالم فإن هذا يعني أن الفن أي فن هو الفضاء الذي لا حدود له وهو السكينة التي نلوذ بها حين تضيق مساحات الحياة وتحبطنا..

وما أكثر ما يحدث ذلك ..الفن ضرورة كما كتب أرنست فيشر، وهو بالوقت نفسه علاج من أمراض المجتمع للقاريء والمبدع معاً..

ألم نقرأ الكثير من هواجس وأمراض المبدعين الذين عالجوها بالإبداع يروى أن نيتشة كان يهذي مضطرباً.. إلى أن كتب آلام فرتر فكان الشفاء من العلل النفسية.

وهذا ما ينطبق على فان كوخ ..وفي الأدب العربي الكثير من الشواهد على ذلك من الجاحظ إلى أبي تمام والفراهيدي وفي العصر الحديث شوقي ونجيب محفوظ وحنا مينة..

إنه العلاج بالفن بالإبداع بغض النظر عن نوعه فهذا يريحه الشعر وذاك الموسيقا وآخر الرسم ..

والمحصلة أن العالم دون الفن قبيح لا معنى ولا جمال له.

فضاء الروح والجسد ولم يعد مجرد ضرورة بل هو الحياة بمعناها الواسع.

في ملفنا نحاول أن نقارب هذه الضرورات ونذكر أن الإبداع مقياس حقيقي للرقي والتحضر والإنسانية..

بهذا المعنى يمكن القول إن الإنسان وحده الكائن الجمالي تذوقاً وصناعة له ..فما أحوجنا إليه اليوم في غابات التيه.

إن وجهك أحلى بكثير... ما سره تشرين؟

فن وفنانون من إيران

حلب الشهباء في عيون الشعراء

ضرورة لا ترف

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

معرض

سورية في المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية

بمشاركة سورية، انطلقت أعمال المؤتمر العالمي لمنظمة اليونسكو حول السياسات الثقافية والتنمية المستدامة «مونديا كولت ٢٠٢٢» في المكسيك والذي عقد الفترة من الـ ٢٨ إلى الـ ٣٠ من أيلول وشارك فيه ١٤٠ وزيراً للثقافة حول العالم.

وقد دعا المؤتمر إلى ضرورة أن تكون الثقافة بجميع أشكالها وتعبيراتها ومعانيها في جوهر أي مسار تحولي للتنمية البشرية، كما يسعى المؤتمر إلى صنع حوار عالمي حول دور الثقافة في التنمية المستدامة.

وخلال أعمال اليوم الأول للمؤتمر ألقت وزيرة الثقافة الدكتور لبانة مشوح كلمة عبر الفيديو أكدت فيها أن التنوع الثقافي هو السمة المميزة للهوية الوطنية السورية الجامعة، ودستور الجمهورية العربية السورية يكفل في الشكل والمضمون حماية هذا التنوع للمجتمع السوري بجميع مكوناته وتعدد روافده، ويؤكد أنه لا تمييز بسبب الجنس أو الأصل أو الدين أو اللغة أو المنشأ أو المعتقد، وللناس جميعاً فرصهم المتكافئة.

وأضافت الدكتورة مشوح: (إن سورية عبر تاريخها الذي يمتد بجذوره إلى الألف السابع قبل الميلاد ملتقى للحضارات، والحرب الإرهابية استهدفت تمزيق وحدتها الجغرافية، وضرب تنوعها الثقافي، وقد وصل الإجرام بحقّ المجتمعات المحلية ذات الخصوصية الثقافية التي تشكل مكوناً أساسياً في نسيجنا الوطني، حد التطهير العرقي والمذهبي، لذلك فإن حرصنا على حماية تنوعنا الثقافي يوازي حرصنا على وحدة وطننا أرضاً وشعباً).

وأكدت وزيرة الثقافة أن الاستراتيجية الثقافية الوطنية في سورية تقوم على حماية وصون وضمان استدامة التراث الثقافي المادي واللامادي والحفاظ على تنوعه الكبير وتعدد مشاربه، باعتباره ركناً مهماً من أركان الهوية الوطنية الجامعة وأحد روافع التنمية المستدامة، وعاملاً حاسماً في تكريس التماسك والأمن والسلام.

وختمت الدكتورة مشوح كلمتها قائلة: (إن سورية العضو المؤسس في منظمة اليونسكو والتي كانت مساهمتها فعّالة في أعمالها، وصدقت على معظم الاتفاقيات الدولية التي أقرّت تحت مظلتها، أعطت العالم أبجديته الأولى، ودونت على رقم أوغاريت أول نوتة موسيقية عرفتها البشرية، سورية مهد الحضارات وملتقى الثقافات، تهيب بكل غيور على التراث الإنساني العالمي أن يدعم جهودها في الحفاظ على هذا التراث العظيم، تراثنا الثقافي ليس ملكنا وحدنا، إنه ملك للإنسانية، ومهمة الحفاظ عليه وصونه تقع على عاتق الإنسانية جمعاء).

يذكر أن المؤتمر انطلق بعد أربعين عاماً من مؤتمر (مونديا كولت العالمي الأول) حول السياسات الثقافية الذي عقد في المكسيك عام ١٩٨٢، وبعد ٢٤عاماً من مؤتمر اليونسكو العالمي للسياسات الثقافية من أجل التنمية الذي عقد في استوكهولم-السويد في عام ١٩٩٨.

توثيق

«حلب الشهباء في عيون الشعراء»

حلب قصدنا وانت السبيل ، منذ أن كانت حلب كانت الثقافة والحضارة والعطاء ، وهي واسطة العقد بين الشرق والغرب في حضرة سيف الدولة كان ابو فراس والمتنبي ، والاصفهاني وغيرهم ، هام بها الشعراء والمبدعون ، وصدرت كتب عربية وغربية توثق ذلك ، الجديد موسوعة (حلب الشهباء في عيون الشعراء)

في أربعة مجلدات ،وقد صدرت عن دار « بريل » للنشر ، ليدن، هولندا .

كتب مقدمة الموسوعة الاستاذ الكبير محمد قجة ومما قاله عنها

قبل عقدين ونيّف من الزمن، عندما نشرتُ بحثًا بعنوان (حلب في التراث الشعري العربي) في الكتاب السنويّ المحكّم «عاديّات حلب» -الذي تصدره جمعية العاديّات في حلب بالتعاون مع جامعة حلب- كتبتُ في مقدمة البحث يومَها:

(لسنا هنا في مجال استقصاء كلِّ ما قيل في حلب من قصائد أو أبيات، بل سنعرض لبعض الموضوعات التي تناولَ الشعراءُ من خلالها مدينةَ حلب، معتمدين على أبرز النصوص التي يحتاجها كل موضوع، لأن استقصاءَ ما قيلَ في حلب يحتاج إلى كتاب، بل أكثر من كتابٍ واحد).

لم أكن أعلم حينها أن ذلك الكتاب سيحتاج إلى ما يقارب ربعَ قرنٍ آخر قبل صدوره على يد نجلي الأكبر «د. حسن قجّة»، الذي قرّر التصدّي لهذه المهمة بعد مرور سنواتٍ عدّة على نشري للبحث المذكور دون تمكّني من تخصيص أي وقتٍ للشروع في تأليف الكتاب، نظرًا لانغماسي العميق في العمل العام الذي يخدم مدينة حلب من زوايا أخرى، ربما كانت أكثر استعجالًا من أمر التأليف البحثيّ. فكان اهتمامي أولًا برئاسة مجلس إدارة جمعية العاديات التراثية (منذ عام ١٩٩٤)، حتى غدتْ مؤسسةً كبيرةً تضمّ ١٦ فرعًا في المدن السورية ومركزها الأم في حلب، وقد قدّمنا عبر تلك السنوات أنشطةً عديدة ومتنوعة تخدم مدينة حلب وتراثها وآثارها وثقافتها وحياتها الاجتماعية والفنية.

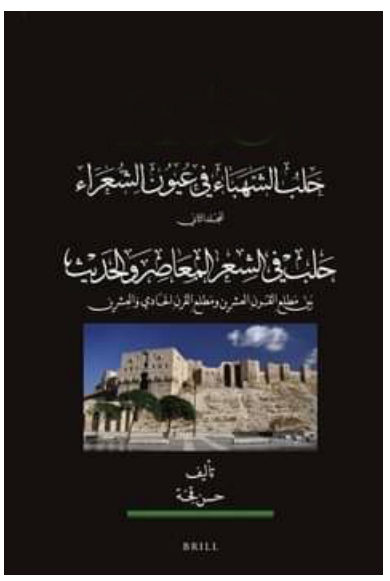

وعندما اختيرتْ مدينة حلب لتكون عاصمةً للثقافة الإسلامية عام ٢٠٠٦، كان لي شرف القيام بمهمة الأمين العام لتلك الاحتفالية، وقد دامت احتفالاتنا ١٤ شهرًا، نفّذنا خلالها مئات الأنشطة من ندوات ومحاضرات وحفلات ومهرجانات وزيارات أثرية، وطبعنا ١٧٣ كتابًا، توّجناها بطباعة (الكتاب الذهبيّ) الذي وثّق الاحتفالية ونشاطاتها.

في تلك الآونة، انبرى «حسن» للعمل المكثّف على تأليف الكتاب، مستقصيًا قدْرًا واسعًا من الشعر العربي أولًا، فالعالمي ثانيًا، وبدأ النِتاجُ بالتضخّم المضطرد المتصاعد بين يديه، إذ كان يُضيف إليه كلّ شهرٍ عشرات النصوص الجديدة، فضلًا عن كتابته مقدّماتٍ مطوّلةً للفصول.

وإذا استعرضنا حجم العمل بلغةِ الأرقام، سنجد أن:

بحث ١٩٩٨: كان في ٤٠ صفحة، ضمّت ١٢٠ نصًا شعريًا كتبَها ٧٠ شاعرًا.

وهذا الكتاب: في ٨٤٤ صفحة، تضمّ ٩٣٧ نصًا شعريًا كتبَها ٥٠٠ شاعر.

وكان لهذا الحجم الكبير أثرٌ إيجابيّ بالطبع على قيمة العمل ومضمونه، وأثرٌ مُربِكٌ بالمقابل على الوقت الطويل الذي استغرقه لكي يكتمل، وقد طالَ انتظارُ القرّاء الذين يترقّبون الكتاب منذ زمن، فقد أبَى إلا أن يتجاوز مدة عقدين من الزمن قبل صدوره، لكنه أبَى أيضًا إلا أنْ يَصْدر بهذه الضخامة والموسوعيّة!

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

بديع صقور

دلال ابراهيم

علم عبد اللطيف

غسان كامل ونوس

فؤاد مسعد

ميسون حداد

نبيل نوفل

ما أنبله!

غسان كامل ونوس

أيّة حياة تلك، التي يمكن تصوّرها، حين تكون بلا فنّ؟! وأيّة أوقات تستهلك فيها وظيفة ممارسَة، لا تنتهي، وتتشابك فيها علاقات، وتتفاقم مشكلات، وتغتلي فيها غرائز لا تُشبع، وتتبارز فيها عناصر مجرّدة؟!

وكيف نتعامل مع شهواتنا المكبوتة، وعواطفنا المكتومة، ورغباتنا المشرعة؛ تلك التي قد تخجل منها؟! وكيف نعبّر عنها؟! هذا إذا ما اعترفنا بها؛ فقد ننكرها، ونلوم أنفسنا على ظهور أيّ منها؛ كأنّها عورات مخزيات، ونتّهم- ونحن نغرف منها- الشياطين والأمراض والظروف باستفزازها واستشرائها، لكنّ الفنّ يحنّ علينا، ويشفع لها؛ فيشرعها ويشرعنها؛ بالاعتراف بها، وإطلاقها، والتعايش معها، وتمثّلها، والقبول بانتمائها إلينا، أو تعالقنا الوشيج معها؛ فهل هذا أمر يسير أو قليل؟!

وكيف- من دون فنّ- نضبط انفعالاتنا، أو نجريها، ونجاريها؛ حيث يجب، أو يمكن، أو يفترض؛ قصداً أو عفواً، مكاناً وزماناً؛ غير مكتئبين لاستثارتها، وغير منبتّين عنها، كافرين بها، مستائين منها؟!

وماذا عن الخيال؟! وماذا حول الأماني؟! ومن للهواجس والقنوط والقلق والتساؤلات؟!

ومن أقرب إلى الفنّ من نشر الطموحات، وتحقيقها، وعرض الخيبات، وتفريغ الضغوطات، وتقويم الانحرافات، أو ترسيمها؟!

ومَن أجدى من الفنّ في المساعدة على السعي إلى تبوّؤ القمم، وتجشّم العناء، وحثّ الهمم، وإيقاد الأنوار، وبعثرة الظلمات، وتشذيب النفس، وترميم الفواقد، والتعويض عمّا كان، ويكون؛ حتّى إن كان لا يعوّض؟!

وكيف نحصل على النشوة من بين الخرائب، ومن دون الرغائب، ومن بعد النوائب؟!

وكيف أَلبَس تاج العرش، وأُلبسُه من أشاء، وأنا ابن العامّة، ولست من السلالة الحاكمة؟! وكيف أرافق النهم البَطين، وأنا هيكل محَروم؟! وكيف أسائل الأسياد والأبوات والنافذين، وأنا غير محميّ الأصل والظهر والأمام؟! وكيف يمكنني أن أنفذ من جدران كتيمة، وأبواب مدعّمة، مغلقة، وأنتهك أحيازاً مسوّرة مزمنة أو مستجدّة، وأتجوّل في رياض مشوّكة، وأقتحم قلاعاً محصّنة، وأبراجاً متعالية، وأنا أعزل إلّا من قلم أو ريشة أو توق؟!

وكيف نتظلّم، ونتشاكى، ونتلاوم، من دون الفنّ؟! بل كيف نردّ الظلم، أو نتفهّمه، وقد نسامح بوعي، أو لا وعي؛ وقد نقاومه بالفنّ، أو ندعو إلى مقاومته، ونحضّ عليها، وقد لا نستطيع الصبر والسكوت؛ فنواجه، من دون دم، وقد نخسر في الفنّ، فنحسّ بعمق أثر الخسارة، ومعناها، فنسعى في الواقع؛ كيلا نخسر، وكيلا يخسر آخرون، وقد ننتقم من دون أذى، أو ينتقم سوانا، فننتشي، ونكتفي؛ فلا نقوم بهذا الفعل المؤذي لنا ولأندادنا في الواقع، ونربح أنفسنا والآخرين.

وبالفنّ؛ وهل من متنفّس أبعد مدى، وأسعد لحظات، سواه؟! قد نتمثّل فعلاً، لا نقدر على اقترافه، ونؤدّي دوراً، لا نجرؤ على مقاربته؛ فنجرّب الخلق، فنفرح، ونتعالى، وقد نندم على ما جرى؛ وفي الحالين، يمكن أن نتجاوز الهيبة والوقار والمقام؛ فننتشي، ونزهو، أو نندم على فعلتنا، ونحاول التعويض، أو العقاب! وربّما نكفّ عن ذلك كلّه، ونزهد، ونرضى! ونستطيع مع الفنّ أن نُمرض، ونميت، ونحيي، ونكرّر الأجيال أو نقلّبها، ونبتني علاقات، ونزيّن المصالح، ونرسم الدروب والحظوظ والمصائر، ونحدّد الجزاء والحساب، وندعو الشهود، ونحيل إلى جنّة أو نار، نخترعهما، وقد نترك الكائنات ما بينهما سكارى، وما هم بسكارى، وقد نبدّل جلوداً، أو نصفح، ونسامح، ونعفو؛ داعين إلى القيام بالمثل!

وماذا نفعل مع الموت، الذي نفرّ منه، ولا منجى؟! ونمارس طقوسنا المتوارثة تجاهه، وتجاه مقدّر الأحوال، وقابض الأرواح؛ من دون أن نكون ضامنين لأمر؛ بل نتوسّل، ونرجو، ونأمل؛ أمّا في الفنّ وبالفنّ، فنستطيع أن نخلق طقوساً أخرى، متّصلة بما نعرف، ونعيش، أو منبتّة، وقد نفعّلها، ونجعلها حيويّة وقمينة بما نريد، ونتمنّى! نقدّم القرابين الوافرة، والأعطيات السخيّة؛ من دون أن نقسو على الكائنات العاقلة وغير العاقلة، ولا نظلمها بما ليس لنا به حقّ، ولا لها به طاقة، ولا لديها إزاءه حيلة.

وقد نتمرّد على كلّ تلك الأوهام، أو نتخلّى عن الاعتقاد بها، أو الإيمان بوجوبها وجدواها، أو نجعل ما يشبهنا من كائنات، ويقاربنا في الشكل أو المهمّة، أو المسؤوليّة، يتجنّبها، ويتجاوزها؛ فلا يصاب بأذى، ولا «يلطشه» الجنّ، ولا تصيبه الكائنات الخفيّة بشرورها، ولا تسمّم أوقاته بنفثاتها؛ كما قد لا تفعل الكائنات العلنيّة المعروفة المُهابة والنافذة، القائمة بالطقوس وعليها، القادرة على ما لا نستطيع استكناهه، أو لا نحاول التفكير في ذلك في الواقع؛ استكانة وقنوطاً وخوفاً؛ وقد لا نتجرّأ على ذلك؛ صراحة في الفنّ أيضاً، وننقل إليه تخوّفنا، وقد نتحايل على ذلك، ونجرّد، ونتجرّد، ونتفنّن؛ وقد قلتُ ذات زمن: النصّ الذي يضبطه الرقيب، ويمنعه، أو يحاسب عليه، ضعيف؛ ربّما! وهناك أدوات أخرى سوى النصّ والمباشرة؛ رسماً أو لحناً، أو تشكيلاً، أو عرضاً...

ولكنّنا، قد نظلم الفنّ، ومتمثّليه، ومتلقّيه، ومتوسّليه؛ فنتعامل فيه وحوله بملكاتنا الأرضيّة، وأمراضنا، ونزواتنا، وموروثاتنا، وموروثاتنا؛ فيعتلّ الفنّ أيضاً، ويهن؛ وهو القادر القويّ أملاً ورجاء، وقد نسكت حتّى عن القول المباح؛ فيعجز الفنّ عن السموّ، الذي يتوسّمه لنا، ونتوسّمه فيه؛ وهو الراقي، ويسقط؛ وهو الجليل، ويتشوّه؛ وهو الجميل؛ حتّى حين يتحدّث عن القبح؛ ويتعب؛ وهو المريح؛ حتّى وهو يُغرق متناوله في اضطراب عناصر، وقلق كائنات!

ليت الفنّ يَخرج عن أرزاقنا المقسومة، وقناعاتنا الباتّة، ويمتح من لا وعينا، ما هو غير مبتوت؛ ربّما، ويحتاج إلى تساؤل وتفكير وتأمّل ومقاربة وتحليل!

ليس الفنّ نوافل وترضيات واستعراضات وادّعاءات؛ هذا الذي قد تفرز معناه كثرةُ المشبّبين بليلى؛ فلا تجوز لهم؛ عرفاً وأصولاً، الراغبين بوصالها؛ هي التي لا تعرفهم؛ لكنّ هناك من يصدّق، وتنطلي عليه الحيلة، ويتشبّه بهم، ويقلّدهم؛ فتكثر الأصنام، ويزداد المتباكون على المنصّة، ويتكاثر الباكون من النظّارة والمتلقّين الآخرين!

هل يجوز التساؤل، إن كان ما يزال لسؤال الفنّ وجدواه ما يسوّغ، بعد كلّ هذه الإنجازات والمخلّدات والمعجزات في التعبير والترويج والترميز؛ ابتداء بالرسم على جدران الكهوف، مروراً بالنقش في المنحوتات، والتشكيل في المناسبات المتنوّعة، والأناشيد في المعارك والحروب، والغناء في المواسم، والرقص في الأفراح، والأتراح؛ ربّما، والتفخيم في التقديس، والتنويع والترف في الدفن، والتعمير والاستئذان، وصولاً إلى التمويه في العقيدة، والتورية في الإيمان. وهل يحقّ ذلك، بعد كلّ ما يقام من عروض، ومناسبات، وما يقدّم من جوائز، وما ينشر، ويذاع، ويرسل، ويقتبس، ويكرّم، ويمتدح؟!

ولكن.. أليست ما تزال لسؤال الفنّ موجبات؛ بعد كلّ هذا الخروج عن الملكات والسياقات والقدوات والمشاعر والطموعات والآمال؟! بعد استغلال المواهب، وإهدار الإمكانيّات، وتشويه المشاهد، والتوحّش في التقتيل والترويع والتضليل والتبخيس...

يا للفنّ ما أنبله، وما أكرمه، وما أعذبه، وما أعدله... لم يختصّ بذي لون وهيكل ومقام وكيان، ولم يترك لمحتار يأساً، ولم يبخل على متعطّش بكأس، ولم يقصّر في واجب، ولم يقتصر على جانب وحال واحتمال...

يا للفنّ يُشاغل، ويراود، ويشكّك، ويلاحق، ويفضح، ويتابع، ويسابق، ويساوق...

إنّه الهنيّ العليّ المنفلت من كلّ قيد، المنطلق من كلّ سمت وفي أيّ سمت، الغنيّ عن كلّ منصب ومقام ونفوذ؛ عابر اللغات والهيئات والقامات والسمات، الدفيء المدفئ في عزّ البرد، حتّى وهو عار، الحادّ، الليّن، المغني اللبيب؛ حتّى من دون كلام، المُرضي المُقنع من دون قوانين وأسباب، لا تكفيه الأرض وما عليها، ولا توقفه السماء وما فيها وما بعدها.

إنّه الفنّ؛ الوجود المتصالح مع الموجود، القرين المصحّي والمضحّي، والطيف الموشّي، والظلّ المضيء، والطاقة المتجاوزة للإمكانيّة، والصنو المجلّي المشروع المسوّغ الموائم المواسي للإنسانيّة.

والشعر باق ؟

دلال إبراهيم

في كتابه المعنون بـ : (العالم كإرادة وتمثل) يتحدث المفكر الألماني شوبنهاور عن الشعر قائلاً:«عندما يُتحف الشاعر خيالاً فإن غايته هي كشف الأفكار، أي إنه يريد عن طريق الأمثلة إيضاح ما هي الحياة وما هو العالم»

بينما يعبرالشاعر الفرنسي جان كوكتو عن حيرته بين شعوره العميق وإيمانه الكامل بأن الشعر ضرورة، وما يراه في هذه المدينة الحديثة من جفاف ووحشة وانصراف عن الشعر وعن الفن بشكل عام. يقول «الشعر ضرورة. وآه لو أعرف لماذا؟» يؤكد ضرورة الشعر لأنه ما زال من وجهة نظره يحمل الوهج ويمثل الضرورة الأهم التي تخفف عنا وطأة الحياة بكل تناقضاتها ومفارقاتها، وكلما ازدادت قسوة الحياة وفوضاها تنامى الإحساس بوجود الشعر وضرورته عبر أشخاص متباعدين في أماكن مختلفة لايعرفون بعضهم لكن تجمعهم محبتهم للشعر وتعاطيهم له وحفظه وقراءته، لذلك لابد للإنسان من الشعر الذي ينقذه من فوضى حياته وتشتتها.

ولا يمكننا الحديث عن ضرورة الشعر الآن - وهي مسألة بديهية نصل إليها بأنفسنا دون الحاجة لمن يدلنا أو يقنعنا - قبل إدراكٌ عميق لرسالة الشعر ولحاجتنا له، وللظروف الصعبة التي تقف حائلاً بين الشعر وجمهور هذه الأيام.

طبعًا لا يفوتنا علو تلك الأصوات التي بدأت تتعالى منذ سنوات معلنة خبر نعي الشعر، وأن الإنسانية باشرت زمن الرواية بديلًا عن الشعر، لكن نعتقد في مقابل هذه الأصوات أن التاريخ الفني الثقافي أثبت أن الشعر لم يكن في أي زمن ترفًا بقدر ما هو ضرورة، فكل شيء يستمد قيمته من وظيفته..ظل الشعر على امتداد الأزمنة والأمكنة واختلاف المجتمعات وتعددها، حاجة إنسانية أساسية لا يمكن إنكارها أو التهوين من شأنها، فهو فن لا يمتاز بالعراقة والريادة والفرادة فحسب، بل إنه يشكل مصدر معارف ومستودع قيم، وهو ما بوأه مكانة الذاكرة في ثقافتنا العربية.

بول هازار المفكر الفرنسي وعضو الأكاديمية الفرنسية يتحدث في كتابه «أزمة الضمير الأوروبي» عن الحرب التي أعلنت على الشعر وعلى كل ما له صلة بالعاطفة والخيال بين أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر، وهي المرحلة الانتقالية الفاصلة بين عصر النهضة الذي أحيا التراث اليوناني اللاتيني وعصر الاستنارة الذي انحاز للعقل، واعتبرالشعر صورة من صور الكذب والتعمية والتضليل، تصرف الإنسان عن طلب الحقيقة، وتخدعه بتهاويل الخيال. وقد انساق الأوربيون في تلك المرحلة؛ لتبنّي هذا الموقف من الشعر، بل لقد انساق إليه الشعراء أنفسهم فنظموا قصائد يهجون فيها فنّهم ويتبرّؤون منه كما فعل دولامانت، وهو شاعر فرنسي في قصيدة يقول فيها:

يا قافيةً! أيتها القيود الغريبة الظالمة. أتكون أفكاري دائمًا عبيدًا لك؟ حتام تتحكمين فيها مغتصبة حقوق العقل؟ فور ما تأمرين بالتزام العدد والوزن يجب التضحية بالصحة والدقة والوضوح.

لكن بول هازار يعتبر هذا الموقف من الشعر تعبيرًا عن الأزمة التي مر بها الضمير الأوروبي في تلك المرحلة وتجاوزها؛ لأن الشعر مطلب أبدي كما يقول في الصفحات التي خصصها له في كتابه وسماها «زمن بلا شعر». وهو عنوان يحمل معنى المفارقة؛ لأن الزمن لا يكون زمناً إنسانياً بغير شعر. وقد رأينا كيف ازدهر الشعر في القرنين اللاحقين -التاسع عشر والعشرين- واستعاد مكانته، وتعددت مدارسه واتجاهاته، وأصبح الموضوع المفضل للنقاد والباحثين، يتحدثون عن أشكاله ومضامينه، وعن ماضيه وحاضره، وعما يؤديه في الحياة ويعبر عنه.

وأكثر ما يخطر في البال في هذا السياق المكانة التي وضع بها الشعر الفيلسوف الألماني الشهير مارتن هايدغر، وهي منزلة متقدمة بين الفنون والآداب ووسائل التعبيراللغوية الأخرى. بالطبع هناك الكثير من المفكرين قبل هايدغر تعاطفوا مع الشعر ورفعوا من شأنه، ولأسباب مختلفة، ولكن هايدغر، من بين فلاسفة العصر الحديث، هو أكثر من أسّس لذلك ضمن عمق فلسفي يمد جذوره الموغلة داخل الوجود واللغة نفسيهما. فهو يحذر مستمعيه خلال محاضرة ألقاها من خطر هيمنة المنهج في البحث والخطاب العلمي على مجمل التفكير. يتبنى أن التفكير، بما في ذلك التفكير في طبيعة اللغة، مرتبط بقوة بمنطقة فريدة تماماً يتواجد فيها الفكر، منطقة لا تخضع لهيمنة المنهج أو تؤسّس عليه. وفي دفاعه يقول: «أحد جوانب النبل والعظمة في كوننا بشرا، هو أننا، إضافة إلى كوننا مرميّن في لغة معينة منذ الولادة، فإننا ننال هباتها الرائعة، ومن بينها، القول، التفكير والشعر.» وأكيد أن المزيد من التوغل في فلسفة هايدغر حول هذا الموضوع يحتاج الى صفحات وصفحات، وقطعاً أن هايدجر كان يؤكد أهمية الشعر في سياق نقده للإنسان المغترب الذي أفرزته الحضارة الغربية.

مما لا شك فيه، أن ثمة عواطف إنسانية عميقة هي التي يتعامل معها الشعر، وهناك تلك التجليات الروحية التي يبثها فينا والتي تجعلنا نرى جماليات الأشياء على غير ما يراها الآخرون الذين حرموا من متعة الشعر. وطبيعي أن الشعر دائماً يخبو وهجه ومن ثم يسطع. وهذا ما أشار إليه أوكتافيو باز في كتابه (الشعر في نهايات القرن) الذي يستعرض فيه تجارب شعراء مع مسألة النشر، حيث كان كل واحد منهم يطبع عدداً قليلاً من النسخ دون أن تباع ليؤكد هنا أن الشعر يعيش كل فترة أزمة على مر العصور لكنه لا يموت. وهذا الأمر موجود منذ بداية البشرية وإلى يومنا هذا. ففي كل عصر كان هناك شعراء يشكون من عدم وجود قراء للشعر.. حتى أيام المتنبي لم يكن هناك قراء للشعر، ونحن لدينا وهم أن الشعر هو ديوان العرب، وأنهم يقرؤون الشعر ويحفظونه ويتداولونه، هذا غير صحيح، ونحن في هذه الأوقات نرى الكتاب الشعري في أزمة وأنه لا يباع وأن القصيدة لا تنشر ولكن الشعر لا يموت وتبقى له الضرورة، لأن الإنسان له ضرورة.

وإن أجمع الكل على أن القصيدة لها قدرة على التأثير بالناس والتعبير عن همومهم، حري بنا التمييز بين القصيدة التي تعبر والقصيدة التي تؤثر. ولا توجد قصيدة جيدة إلا وتعبر، وهذه عليها أن تنبع من تجربة حقيقية صادقة وعميقة، بحيث تصل إلى جذور مشتركة مع تجارب الآخرين لكي يبدأ هذا الآخرالاهتمام بها. بمعنى أن يكون هناك شيء مشترك في التجربة الانسانية، فإن استطاع الشاعر أن يصل لهذه الحالة فإن هذا هو الأفضل، وهو الذي يبقى، وهذا هو الإبداع. ذلك الإبداع الحقيقي الذي بقي محاصراً وتأثيره محدوداً، ولكن ثمة العديد من الموانع التي تحول دون حصول هذا التأثير، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: عدم توفر المنابر، فقدان الشغف بالقراءة وسياسة تجهيل الناس وإحاطة عقولهم بجدار واق من السطحية من خلال تعميم ثقافة سطحية ومضادة. ودون أدنى شك، ليس هناك قصيدة تخلق ثورة ولا تغيّر إنساناً، ومعلوم أن الإنسان في حالة تغير وتطور مستمر في عقله وثقافته ووعيه، وجميعها تأتي نتيجة تراكم مجموعة من الأشياء التي تحدث هذا التغيير. بمعنى أن التأثير تراكمي وليس تأثيراً مباشراً. وهذا التراكم لا نشعر به للوهلة الأولى، فإن قرأنا كتاباً هل نتوقع أن يغيّرنا هذا الكتاب فوراً؟ بالتأكيد لن يغيرنا، ولكن طالما أن ال>نسان يقرأ باستمرار فإنه يتطور باستمرار. وهذا ينطبق على الشعر، ولا سيما الإبداع العربي الجيد منه.

الإبـــــداع ضـــــرورة

علم عبد اللطيف

الفنون عموماً..هي ثمرة تطور الإنسان عبر مسيرته العقلية. ابتدع الإنسان الرمز..الإشارات، ثم الخطوط..وكان في وقت مبكر من تاريخه على الأرض..يكتب لنفسه. للتوثيق أو الاستدلال على المكان والزمان، وكان ابتداع الأرقام نقلة أقرب إلى الطفرة في سياق التطور والاجتماع البشري. فالإنسان تجاوز مرحلة العيش وحده. وإيجاد الرقم ذاته دلالة على التعدد وتجاوز الفردانية.

وانتقل معه محاوراً الطبيعة والمناخ..ثم أصبح ليس متفاعلاً معها فقط..بل فاعلاً. وبرزت جدلية المنتَج وتطويره..كلما أنبتَ الزمان قناةً..ركّب المرء للقناة سناناً..هذا فهم متقدم لأبي الطيب في زمن لم تكن مفردة الجدل موجودة. الفنون هي مرآة أي مجتمع..ويقاس تطور وتقدم المجتمعات بإنجازاتها الإبداعية والفنية. سمي عصر النهضة في أوروبا.

لأن كل أنساق الإبداع بدأت السير متسقة ومتناغمة مع مرحلة التنوير. فكان الرسم والنحت في إيطاليا. أول بلاد في العالم انطلقت فيه الفنون التشكيلية، وكان من تحصيل الحاصل أن تكون أوروبا الأنوار.. المعقلنة.

هي بيئة الفن الراقي. عرفت كيف تمسك بفرصة التحرر من المحافظة والانغلاق، وقدم الإنسان فيها ثمار حريته، فنشأت الرواية، وهي فن من ابتداع المرحلة البرجوازية التي أنشأت معادلاً موضوعياً لنهضتها تمثل بفن القص والسرد الروائي.

الرواية التي اتفق على أنها تمثل النظرة إلى العالم ثقافياً وسياسياً وفكرياً واجتماعياً قي نص كويل ومفتوح. بطله الإنسان حياً..محاوراً ومساجلاً. وحقيقة اتسعت الرواية للمعارف المستقرة والمستجدة. في جدلية أفادت من تطور الفلسفة والعلوم والفكر عموماً. ولم يبق تناول الرواية مقتصراً على قراءتها في كتاب.

فتم إحياء المسرح في فرنسا خصوصاً. كما لو أن الزمن الذي أنتج المسرح الإغريقي والروماني. في مرحلة ازدهار الامبراطوريتين.

قد تجددت الحاجة إليه قي مرحلة تماثله ازدهاراً، وتنتمي إليه قيمياً. وقام المسرح بدور فاعل في بعث التراجيديات.. وإنتاج تراجيدياته أو كوميدياته بطريقة مستجدة تنتمي إلى المرحلة..

ثم كان الفن السينمائي الذي جسد الأحداث الروائية بطريقة من ابتكار التكنولوجيا. وأسهمت السينما في زيادة الحاجة للنصوص الروائية.. فالأمر في حقيقته ومآله هو تفاعل بين حاجة وطلب إنساني ومطلبي. الفنون والآداب.. ليست نتاج قرار. هي محصلة تطور ثقافي..إذا أردت أن تعرف تطور المجتمع. فانظر إلى آدابه وفنونه. ويمكن التأكد من صحة هذه المقولة بتأمل الحالة النقيضة. وضع الآداب والفنون وحالتها في مراحل التراجع التاريخية للمجتمع في مراحل الصراعات والحروب. فتنعدم الحرية التي هي شرط كل أدب وفن، وتتراجع الثقافة والفكر، وتتلاشى الفنون في خضم النزاعات.

لكن التاريخ دوماً يكتب ذاته بطريقته. دون أن نعرف ربما، فالتطور سمة الإنسان والإنسانية. يعود الفكر دوماً ليعلن عن ذاته أدباً وفناً وإبداعاً. كالماء الحبيس تماماً.

مصيره وقدره الانديا سيلاً. أنهار وسواقٍ. يجرف المترسبات. ويطهر الأرض التي تستقبل الماء بالخضرة والنماء. كما لو أن الأمر أيضاً هو تفاعل خفي بين في الطبيعة أولاً..وفي علاقة الإنسان بالطبيعة وبذاته.

وتر الكلام

إبداع العثرات...!

سعاد زاهر

لن تتلمسه إن لم يكن ابتكاراً فكرياً يمضي بك إلى دروب تغيير الذات أولاً، سعياً لنقض السائد وفي مرحلة تالية التخلص منه.

إذا لم نتمكن من تجاوز الوضع القائم خاصة إن كان يعاني من خلل يمنعه من تجاوز الآني تهيئة لظهور مختلف يصبح كسند لمشاريع إبداعية تبعدنا عن السطح حيث ترسو القشور.

لن نتحدث عن أهمية الإبداع ولكن عن إحساسنا وعلونا الفكري والروحي حين نعتنقه في أنواعه المتنوعة، أياً كانت رواية أو شعراً، أو فناً....

ميزة كل الأنواع الإبداعية حين نتشربها أنها تلهمنا لنقفز فوق التفكير الاعتيادي لنطأ دروباً جديدة، لنفكر بطريقة تفضي إلى نتائج مبتكرة.

ولكن ونحن نغرق في واقع متعثر...!!

هل يمكننا الانتقال إلى الإبداع، قبل تأمين الأولويات الحياتية... والتعثر هل يبقي الإبداع مشتعلاً...؟

إن وجدت الموهبة والقوة، فمع تتالي التعارك مع الصعوبات نبتعد عن الاعتيادي في التعاطي وربما يحفزنا على الابتكار بل وقد يوسع من رؤيتنا للعالم، ونتمكن من فتح نوافذ إبداعية تنعتق عبرها الأعمال الأدبية نحو آفاق تأخذنا إليها لنتماهى معها وبدلاً من انكسار أروحنا في الأزمات..

حين نهضمها بعثراتها، بصعوباتها...حين نستعين بتجارب إبداعية لبشر مروا بها قبلنا، واختطتها أيادٍ مبدعة، نتعلم ونصنع لأنفسنا سلوكاً موازياً، يبتعد أو يقترب مما فعلوه، وفي المحصلة يمكننا من الخروج من عنق الزجاجة، حتى لو كانت ضيقة واستوردت خصيصاً لتضيق المنافذ علينا، وتقليل فرص النجاة.

تشكيل الحياة وهندستها جمالياً

نبيل فوزات نوفل

الفن ظاهرة اجتماعية معقدة عمرها عمر الإنسان، وهو يسمو بالإنسان لأنه يطهر الروح، ويحرر الإنسان من الغرائز المضرة. ويرى /غوركي/ أن أصل الفن هو العمل،لا اللعب، وهذا ما يؤكد أن الحاجة الاجتماعية هي تطلبت ولادة الفن كشكل من أشكال الوعي الاجتماعي، ومع مرور الزمن بدأ يخدم حاجات الناس في عملية الإنتاج المادي،وإنما بدأ يخدم في ميادين أخرى، في الحياة الاجتماعية؛ في السياسة،وفي الدين، والفلسفة.

وقد تحدث الكثير من المفكرين عن الفن ودوره، فمثلاً فيثاغورث وتلاميذه بحثوا عن الأسس الموضوعية للظواهر الجمالية،كما اهتم /فيثاغورس/ في تفسير الفن في التربية الاجتماعية،وكيف أن الموسيقا بألحانها الرائعة تسيطر على شعور الإنسان فتزيل منه جميع الصفات الشريرة، وتمحو الغضب، وتخفف من الغيرة العمياء، كما تزيل الخوف والشهوة.كما رأى/ فيثاغورس/ أن الموسيقا تشفي جسدياً واستخدم الرقص،وقراءة أشعار هوميروس، وهيسيوس لتطبيب الروح،في حين يرى هيراقليط(٤٣٠-٤٧٩ قبل الميلاد): إن التناسق هو أساس الجمال، أما ديمقراط(٤٦٠-٣٧٠ قبل الميلاد) فيرى أن الإلهام شرط ضروري للإبداع الفني،وكان يعتقد أن الإلهام هو هبة الطبيعة.أما سقراط(٤٧٠-٣٩٩قبل الميلاد) فهو يعتقد أن جميع نشاطات الإنسان لها هدف معين، وأن أسمى هدف لأعمال الإنسان هو الخير المطلق،والأعمال الفنية مفيدة، وكل عمل من هذه الأعمال يجب أن يكون له فائدة، والرائع هو الذي يفيد ويجدي معاً، والسيئ والرديء هو الشيء أو العمل الذي لا جدوى منه. أما أفلاطون(٤٢٧-٣٤٧ قبل الميلاد) فيرى الرائع، رائعاً كفكرة خالدة،لا تطولها حركة ولا يعيبها تغير،إن الفنان ما هو إلا ناسخ لا يفهم المعنى الحقيقي للوجود الرائع، ولكنه يخلق عملاً فنياً، فهو يحاكي العالم المحسوس.

أرسطو وفن الشعر

أما أرسطو(٣٨٤- ٣٢٢٩)قبل الميلاد: فيرى في كتابه»فن الشعر» أن أسس التعبير، وهي الوسيلة ،الموضوع، الطريقة ،وتأتي أهمية كتابه كونه أول وثيقة نظرية وشهادة أمينة على تطور الفن الإغريقي،حيث وضع مسألة (الرائع) في مركز أبحاثه لكنه خالف أستاذه أفلاطون،وانتقده، حيث يعد الرائع صفة موجودة واقعياً. وفي كتابه «ما وراء الطبيعة» يقول: إن أهم معايير الرائع هو التراتيب، والتناسب، والوضوح، فالإنسان بحد ذاته تجسيد للرائع، والرائع برأي أرسطو يجب أن يكون له شكل محدد، وحجم معين، كالقصة يجب أن يكون طولها صحيحاً، لكي يستطيع القارئ أن يتذكرها.والمتعة في رأيه نابعة من أمرين: السرور بالفهم،والسرور بالمعرفة،حيث قسم الشعر إلى أنواع وأشكال، فقد فرق بين الشعر التاريخي،والشعر الملحمي، والشعر العاطفي، والشعر الدرامي.

كما أن قضية الفن التربوي احتلت مكاناً بارزاً في أعمال أرسطو، فهو يعتقد أن الفن لا يحتوي على قيمة ذاتية، وإنما هو مرتبط بحياة الناس الفكرية والأخلاقية ويهدف إلى الكمال في عمل الخير والفضيلة. لأن الفن يسمو بالإنسان، ويطهر روحه،ويحرره من الغرائز الضارة،كما اهتم/ لوكريشيوس/بقضايا الثقافة والفن، والفن في رأيه هو ضرورة إنسانية فبرزت الموسيقا، والرسم، والرقص، والغناء،كضرورة مكملة للحياة، والفن برأي /غاراتسي/ يجب أن يحافظ على الوحدة،والبساطة، والتكامل، والاستمرار، والصدق،وإذا رغبت في ابتداع شيء ما فكن في تفكيرك قريباً من الحقيقة، ويلعب الفن دوراً مهماً في التربية الأخلاقية وخاصة الشعر والموسيقا، ويذكر مؤرخو علم الجمال والفن،»قصة حي بن يقظان» التي تعد مثالاً عن كتابة القصة عند العرب أو الوصول إلى الحقيقة عن طريق التأمل والتفكير. كما عد ابن عربي، وذو النون، وأبو الحسين الدراج الموسيقا تساعد على فهم الحقيقة.

الكندي وإبداع الموسيقا

ولا بد من ذكر ابن رشد الفيلسوف العربي الذي يقول:إن فهم أي إنتاج فني من قبل أي إنسان مشروط بفهمه للحكمة التي توخى الفنان التعبير عنها من عمله الفني،والهدف الذي من أجله وضع هذا الإنتاج الفني،كما وضع الكندي في أحد مؤلفاته عن الموسيقا تعميماً عن التذوق الجمالي للألحان والأوان والروائح، كما عد إخوان الصفا الموسيقا حرفة من الحرف، وعبروا عن فهم عميق للموسيقا، ولها تأثير في النفوس،وقسموا الألحان إلى ألحان روحية تؤثر في النفس،مثل الأناشيد الدينية وتجويد القرآن، وألحان حربية حماسية تستخدم في الحروب،وألحان تستخدم أثناء العمل مثل أغاني صيادي الأسماك،وألحان حداثية مثل غناء الحداء في قافلة الجمال،أما ابن سينا فقد حدد في كتابه مسألتين؛ الأولى الصفات الجمالية للإدراك الصوتي ونشأة الموسيقا،حيث أشار ابن رشد إلى أن الهدف الرئيسي للفن الموسيقي هو التربية، فالموسيقا يجب أن تحث البشر على الصمود والعفة ورفض الألحان التي تدل على الخنوع والخنوع،ويرى تولستوي أن الفن الذي يستهلك جهوداً جبارة من قبل الناس،وحيوات البشر،ويهدم الحب بين البشر،ليس شيئاً واضحاً»،ومن وجهة نظر تولستوي، على العلم والفن أن يبرهنا على عدم جدوى الحروب وتخليص البشرية من ويلاتها، ومن جنون تعاطي المخدرات، وأن يوضحا تخلف التعصب القومي وأضراره.لذلك ركز على مقاومة العنف والشر،أما رسالة الفن عنده،فتكمن في نقل الحقيقة. ومهمة الفن هي تحقيق وحدة الناس الأخوية.

ويرى تولستوي أن خطر الفن المزيف على الفن الحقيقي يظهر عندما يصبح شحيح المضمون وأكثر غموضاً من حيث الشكل، فهو يفقد سمات الفن، ويصبح شبيهاً بالفن، ويبرز الشعر في مقدمة الأجناس الأدبية؛ ويعده أرقى الأجناس الفنية، وبالتالي فالعمل الأدبي إن كان شعراً أو رواية أو قصة،إن لم يحمل فكرة أو يتضمن قيمة جوهرية، تضيف شيئاً ما إلى ثقافة المتلقي،فلا نفع فيه كما لا يبتعد إرنست فيشر في كتابه»ضرورة الفن» عن آراء تولستوي،وهما يحذرا من أن يتحول الفن إلى سلعة،وهذا هو الخطر الأكبر. وبخصوص «الفن للفن»،ففي رأي إرنست فيشر أن هذه الحركة كانت مرتبطة بالرومانسية ويعد فيشر إن»شعار الفن للفن «هو محاولة وهمية للإفلات الفردي من الدنيا البرجوازية والرأسمالية، وتأكيداً للمبدأ السائد في هذه الدنيا،»الإنتاج للإنتاج» وهذا الشعر هو منغم وزاخر بالألفاظ ذات الجرس والرنين، وليس فيها غير بضعة أبيات مفهومة على الأكثر.ويتحدث إرنست فيشر عن الانطباعية ويراها عرضاً من أعراض الاضمحلال،ومن أعراض تفتت العالم وانعدام إنسانيته. كما يتوقف إرنست فيشر في كتابه(الشكل والمضمون) عند الشكل والمضمون فيرى أنه لا مضمون من غير شكل ولا شكل من غير مضمون،ومن الذين عارضوا الفن للفن الناقد الروسي بيلينسكي،الذي أكد أن الفن يجب أن يكون في خدمة المجتمع، ويجب أن يتوقف عن انشغاله بالتوافه والترهات، وعلى الفن أن يربي شعور الكراهية تجاه كل اضطهاد وتعسف، وأن يعبر عن آمال الشعب وآلامه ويساعد في تكوين الأسس الاجتماعية العادلة. وأن يكون نصيراً للشعب الفقير، فعندما يبتعد الفن عن القضايا الملحة في المجتمع فإن هذا الفن يفقد قوته،لقد ربط بيلنسكي الفن بالمجتمع وبأناسه، وجعله في خدمة المجتمع،أي إن مهمة الفن السمو بالروح الإنسانية وفهم الحياة وتهذيب علاقات الإنسان بالإنسان، ويرى الناقد نيقولا دوبروليوبوف أن على الفن والأدب أن يعيدا تشكيل الحياة وفي تطويرها ودفع عجلة المجتمع إلى الأمام،وإلى التقدم،وإن الصدق هو الشرط الضروري للإبداع الفني،وكما يرى الأديب مالك صقور في كتابه ما الفن؟ إن سبب خلود بعض الأعمال،وزوال بعضها الآخر، يعود لسببين :الأول:موضوعها،وهدفها، ومحورها،الذي يجب أن يكون الإنسان، والثاني:قيمتها، والفنية التي هي بمنزلة الرجولة من الرجل،والأنوثة من المرأة،فوظيفة الفن هي التنوير،الذي يخلق منظومة وعي معرفية،وكما يرى تولستوي أن مهمة الفن هي نقل الحقيقة من مجال العقل إلى مجال الأحاسيس التي تفيد بأن خير الناس هو إقامة مملكة الحب، وأن مهمة الفن هي تحقيق وحدة الناس الأخوية، وكما يقول الأديب الكبيرميخائيل نعيمة في فهمه للفن:»فإن سئلتم عن إبداع آيات الفن وأغلاها،قولوا:»ضمير لا يسخر،وجبين لا يعفر، ولسان حليم شكور، وقلب عفيف غفور،وعين لا تبصر القذى، ويد لا تنزل الأذى، وفكر يرى في البلية عطية، وخيال يربط الأزلية بالأبدية».ويلعب الفن السابع دوراً مهماً في المجتمع فكما يرى توفيق الحكيم أن السينمائي الحق، هو ذلك الذي يجعلك تدرك أعمق ما يمكن من اللمحة التي تخطف بصرك فوق «الشاشة» وأن كل الفنون تجتمع عنده وفيه، وهو فن وصناعة معاً، والمدقق في واقع السينما العربية يجد أنها في وضع لا تحسد عليه،فهي تعامل الجمهور بمنتهى الاستخفاف والابتذال إلا ما ندر،إن السينما سلاح فعال من أسلحة الكفاح الإنساني،وتحاول القوى الإمبريالية استثمارها لتدمير ثقافات الشعوب وتشويه حضارتها وتدمير قيمها وتمييع قضاياها.

مفردات إبداعيــة في التشكيل الإيــــراني

في مقدمة كتابه «فن وفنانون من إيـران» يرسم الفنان والناقد التشكيلي د.محمود شاهين، بالكلمات، ملامح الحياة الثقافية والفنية المعاصرة في إيـران من خلال إلقاء الضوء على المنجز الإبداعي في مختلف حقول تلك الثقافة مستخدماً إطار ومصطلح «الصورة» في تعداد وصل إلى ثلاث عشرة صورة أحاطت، بوجه عام ومجمل، بتلك المحطات المتداخلة، والتي يشكل الإبداع الإنساني قاسمها المشترك الأعظم، في رسم كامل اللوحة الغنية بتفاصيلها ومفرداتها المازجة بين الماضي والحاضر، مستفيدة من مختلف الأدوات التي تشكل مبنى وعمق اللوحة العامة لحياة ثقافية طافحة في غناها المعرفي والإنساني..

يقول د.شاهين: «للثقافة الإيرانية المعاصرة بشكل عام، والثقافة البصرية بشكل خاص، حضورها اللافت على الساحتين المحلية والدولية، وهي ثقافة غنية في مضامينها، متفردة في شكلها وصياغاتها ووسائل تعبيرها. تنهل أغلبية مفرداتها وعناصرها ومكوناتها من موروثها الأصيل، وفي الوقت نفسه، تتابع بكثير من الوعي والاتزان كشوفات عصرها وإضافاته، آخذة منها ما يلائمها ويخدم أهدافها وغاياتها: شكلاً ومضموناً».

في صفحات كتابه، الغني بالصور واللوحات الفنية، يأخذنا د.شاهين في رحلة ثقافية ومعرفية، يطوف من خلالها على عدد من وجوه الإبداع في عالم الخزف والمنمنمات والخط واللوحة التشكيلية المعاصرة ضمن رؤى بصرية ذات خصوصية وحضور عالمي تفرض حضورها على المستوى العالمي..

يشير الناقد شاهين إلى ريادة في هذا فن الخزف، إذ تأتي إيران في مقدمة الدول الإسلامية التي أنتجت الخزف والقاشاني على مدى ثلاثة قرون «١٣و١٤ و١٥» حيث كان هذا الفن من أكثر الفنون التطبيقية أهمية في هذه العصور. ويلفت إلى قدم فن الخزف إذ «يعود تاريخه في إيران إلى عشرة آلاف سنة».. وقد عكست هذه «الرسوم والزخارف الحياة الإيرانية بأبعادها الدينية والأخلاقية والفنية».

وفي فصل «المنمنمات - مدخل إلى فن التصوير الإيـراني» وهي الرسوم التوضيحية التي رافقت بعض الكتب العربية والإسلامية، فقد أكد أن إيـران تفردت بهذا الفن، وقد ارتبط فن التصوير بالمنمنمات التي «لعبت دوراً مهماً في تزيين المخطوطات، وجاء معظمها بحجوم صغيرة لكنها حملت بين أعطافها مهرجانات ساحرة من الألوان والأشكال والعناصر والمفردات»..

ويعبر بنا المؤلف إلى فن صناعة السجاد، وقد اشتهر السجاد الإيراني بخصوصية جمالية وفنية، ما صناعة قبلية وصناعة مدينية «سجاد تبريز»..ويلفت الناقد التشكيلي إلى ما يسمى السجادة المنحوتة التي تتسم «بخلق تشكيلات فراغية محجمة على شكل جسم صلب معد لتزيين فراغ الغرفة وليس فقط الجدار ما يجعل هذا النوع من النجود أقرب إلى المنحوتة منها إلى اللوحة»..

ينتقل بعد ذلك إلى الخط والخطاطين ليعرف القارئ بجوانب متعددة من الإبداع والمبدعين في هذا المجال، حيث نتعرف على محمد جليل رسولي الذي «مزج بين التراث والحداثة ما أضفى على أعماله جمالاً خاصاً».. وعلى عباس أخوين الذي يمثل طرازاً رفيعاً وفريداً في هذا الحقل... وأمير أحمد فلسفي الذي وصف عمله بالإبداع المفتوح، وغيرهم..

وعلى صعيد اللوحة التشكيلية أخذ شاهين القارئ إلى عوالم عبد المحسن محسني كرمنشاهي واصفاً إياه بفنان الجماليات الوادعة، مشيراً إلى أنه يمتلك ناصيتي اللون والخط، وهما «الرافعتان الأساسيتان للوحة التصوير الناجحة والمعبرة»..ويختم مع حبيب الله صادقي الذي يقدم «طروحات بصرية تغازل البصر والبصيرة» حيث نوع صادقي في طرائق وأساليب وتقانات فنه، كما نوع في موضوعاته..

أخيراً لابد من الإشارة إلى أن هذا الكتاب وزع على هامش الأسبوع الثقافي الإيراني الذي أقيم خلال الأيام الماضية في دمشق.

زاوية حادة..

بيت السينما..

غسان شمه

ما زلت أذكر أياماً بعيدة حين كانت السينما أشبه بطقس خاص يلتقي في إهابه الكثير من الفنانين والصحفيين والمثقفين والمهتمين، ولا يبارح خيالي مشهد انتظارهم أما باب صالة الكندي، على وجه التحديد، أيام المهرجانات، أو إقامة أسبوع لهذه السينما العالمية أو تلك، ومن أبرزها السينما الإيطالية التي كان لها حضورها الخاص..

وباعتقادي أن الكثير من أبناء ذلك الجيل يذكر الكثير من الأفلام الأجنبية والعربية والهندية التي عرضت لأسابيع طويلة في دور السينما التي كانت منتشرة في دمشق بشكل كبير، حيث وصلت إلى ما يقارب الخمس وعشرين داراً في مرحلة ما، لكن سرعان ما انحسرت واقتصرت، العاملة منها، على عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة..

الناقد الراحل صلاح دهني، في كتابه «السينما السورية - مكاشفات بلا أقنعة» الصادر عام ٢٠١١ يشير إلى أن دور السينما في سورية قد تجاوزت المئة في فترة ما، وأن السينما «كانت طقساً فردياً وجماعياً، عائلات بمجملها كانت تتوجه إلى دور السينما لتتزود بما يرضي ويثير ويغني من زاد الفن السابع»..

اليوم نتابع مع مشروع سينمائي خاص هو بيت السينما، وهو مشروع طموح يسعى لاستعادة شيء من ذلك الطقس المفقود، وذلك من خلال تقديم أفلام عالمية من مشارب سينمائية متعددة في رؤيتها الفكرية والبصرية والجمالية لهذا الفن العريق، إضافة لبعض الأفلام السورية القصيرة، بإشراف فراس محمد ونضال رامي اللذين يديران نقاشاً حول الفيلم بعد نهاية عرضه كطقس له خصوصيته وجماليته.. وقد تابعنا أفلاماً مميزة كفيلم ستموت في العشرين» من السودان، والفيلم الإيراني «بطل»، ومؤخراً استعادة جميلة لفيلم «أضواء المدينة» لشارلي شابلن وغيره..وفي العموم بيت السينما تجربة لها حضورها اليوم..

من العالم

مطلب أبدي

كتب أحمد عبد المعطي حجازي عن الشعر قائلاً :

قبل بضع سنوات وأنا مقرر لجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة في مصر، جلست مع زملائي أعضاء اللجنة، نضع برنامج العمل في الدورة الثانية لملتقى الشعر العربي الذي ينظمّه المجلس كلّ عامين بالتناوب مع ملتقى الرواية، فاقترحت تخصيص ندوة من ندوات الملتقى للحديث عن الشعر كحاجة من حاجات الإنسان الضرورية. وفي هذه الأيام الأخيرة اجتمعت لجنة الشعر التي أصبح الناقد المصري المعروف محمد عبدالمطلب مقررًا لها؛ لتضع برنامج الدورة القادمة للملتقى، فرأت أن يكون موضوعه الرئيس هو ضرورة الشعر الآن. وقد أحسنت اللجنة بهذا الاختيار الذي يدلّ على إدراك عميق لرسالة الشعر ولحاجتنا إليه، وللظروف الصعبة التي تقف حائلاً بين الشعر وجمهوره في هذه الأيام. والحقيقة أني لست أول من قال: إن الشعر ضرورة، إنما سبقني إلى هذا شعراء ونقاد لم أحصِ عددهم، لكني أتوقع أن يكونوا كثيرين؛ لأن ضرورة الشعر تبدو لي مسألة بديهية، نصل إليها بأنفسنا دون أن نحتاج لمن يدلنا أو يقنعنا، وهذا ما جرّبته بنفسي، فأنا حين قلت: إن الشعر ضرورة، لم أقلها نقلاً عن أحد، إنما كنت أعبّر عن حاجتي للشعر التي أعتقد أنها ليست حاجة خاصة أو فردية، إنما هي حاجة إنسانية عامة. والدليل على هذا ما قاله كثيرون عن ضرورة الشعر للحياة.

بول هازار المفكر الفرنسي وعضو الأكاديمية الفرنسية يتحدث في كتابه «أزمة الضمير الأوربي» عن الحرب التي أعلنت على الشعر وعلى كلّ ما له صلة بالعاطفة والخيال بين أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر، وهي المرحلة الانتقالية الفاصلة بين عصر النهضة الذي أحيا التراث اليوناني اللاتيني وعصر الاستنارة الذي انحاز للعقل، وعدّ الشعر صورة من صور الكذب والتعمية والتضليل، تصرف الإنسان عن طلب الحقيقة، وتخدعه بتهاويل الخيال. وقد انساق الأوروبيون في تلك المرحلة؛ لتبني هذا الموقف من الشعر، بل لقد انساق إليه الشعراء أنفسهم فنظموا قصائد يهجون فيها فنّهم ويتبرّؤون منه كما فعل دولامانت، وهو شاعر فرنسي في قصيدة يقول فيها:

يا قافيةً! أيتها القيود الغريبة الظالمة. أتكون أفكاري دائماً عبيداً لك؟ حتام تتحكمين فيها مغتصبة حقوق العقل؟ فور ما تأمرين بالتزام العدد والوزن يجب التضحية بالصحة والدقة والوضوح.

مطلب أبدي

لكن بول هازار يعدّ هذا الموقف من الشعر تعبيراً عن الأزمة التي مرّ بها الضمير الأوروبي في تلك المرحلة وتجاوزها؛ لأن الشعر مطلب أبدي كما يقول في الصفحات التي خصصها له في كتابه وسماها «زمن بلا شعر». وهو عنوان يحمل معنى المفارقة؛ لأن الزمن لا يكون زمناً إنسانيّاً بغير شعر. وقد رأينا كيف ازدهر الشعر في القرنين اللاحقين -التاسع عشر والعشرين- واستعاد مكانته، وتعددت مدارسه واتجاهاته، وأصبح الموضوع المفضل للنقّاد والباحثين، يتحدثون عن أشكاله ومضامينه، وعن ماضيه وحاضره، وعما يؤدّيه في

الحياة ويعبّر عنه.

الشاعر الفرنسي جان كوكتو يعبّر عن حيرته بين شعوره العميق وإيمانه الكامل بأن الشعر ضرورة، وما يراه في هذه المدينة الحديثة من جفاف ووحشة وانصراف عن الشعر وعن الفن بشكّل عام. يقول «الشعر ضرورة. وآه لو أعرف لماذا؟»

وسوف أحاول الإجابة عن سؤال كوكتو مبتدئاً من الشطر الأول في عبارته: الشعر ضرورة. والدليل على ذلك وجوده واستمراره في كلّ اللغات وكلّ الحضارات وكلّ العصور. بل الشعر هو الأصل. هو أصل اللغة، ومن ثَمّ أصل الحضارة؛ لأن اللغة حين بدأت لم تكن نحواً وصرفاً، ولم تكن فنوناً وعلوماً مختلفة تتميز فيها لغة التعبير من لغة الاتصال، ولغة العلم من لغة الأدب، إنما كانت لغة واحدة تعبر عن كل ما يحسّه الإنسان ويشعر به ويخطر له في اليقظة والحلم وفي الواقع والخيال. وهذا هو الشعر الذي نستطيع أن نسميه لغة كلية؛ لأنه تعبير عن وعي كلي.

وفي هذا يقول الفيلسوف الألماني مارتن هيدغر: «فالشعر لا يتلقى اللغة قط كأنها معطاة له من قبلُ، بل الشعر هو الذي يبدأ بجعل اللغة ممكنة. الشعر هو اللغة البدائية الأولى للشعوب والأقوام. إذن يجب خلافاً لما قد يتوهم أن نفهم ماهية اللغة من خلال ماهية الشعر». فإذا كان الشعر هو أصل اللغة كما رأينا فهو أصل الحضارة؛ لأن الحضارة بدأت من اللغة التي مكّنت الناس من التواصل والاجتماع ومن التفكير والتعبير. وربما كانت الحضارة العربية خير شاهد على الدور الذي أدّته اللغة وأدّاه الشعر في قيامها.

فالشعر هو ديوان العرب. والديوان هنا هو الثقافة والتراث والتاريخ. وبناءً على إدراكنا لهذه الحقائق نعرف أن الشعر ضرورة، ونفهم حاجتنا له؛ لأنه وسيلتنا لأن نعرف أنفسنا ونمثل حاجاتنا ونعبّر عنها بالاسم والصورة والصوت والحركة. فالشعر وعي كلي يسمّي الأشياء ويصوّرها ويمثّلها ويغنّيها. ومن هنا نستطيع أن نتصدى لتلك التيارات التي تظهر بين حين وحين؛ لتعلن الحرب على الشعر وتعدّه نقيضاً للعقل وخصماً له. لماذا؟ لأن هذه التيارات تجعل العقل مجرد آلة حاسبة، وتحصر نشاطه في الإحصاء والتحليل والاستنتاج. وكذلك تفعل مع الشعر فتجعله مجرد تخييل وتهويم وانفعال. وهذا تضييق وتعسف لا يتفق مع ما نحسه ونعيشه ونعرفه من تواصل الحواس والطاقات، وتداعي الأفكار والانفعالات والخواطر والذكريات.

نحن ننفعل بعقولنا؛ لأننا نكتشف بها المجهول ونتخيله ونتوقعه ونحلم به. ونحن في المقابل نفكر بأفئدتنا، ونحس بها، ونزن الأشياء، ونمتحنها. ولهذا رأينا القلب في تراثنا مرادفًا للعقل. وباستطاعتنا أن نفهم من هذا أن العقل ليس واحدًا في كلّ الثقافات، وأن وظيفته تختلف قليلاً أو كثيراً من ثقافة لأخرى. ولهذا يتحدث الباحثون عن العقل الشرقي والعقل الغربي من دون أن ينكروا بالطبع ما هو مشترك بينهما. ونحن لا نعرف من ناحية أخرى أن الشعر ليس واحداً في كل اللغات، وليس واحداً حتى في اللغة الواحدة، فالشعر الغنائي شيء، والشعر الملحمي أو المسرحي شيء آخر. والرومانتيكي غير الكلاسيكي، والجديد غير القديم.

هل نسلم بأن الشعر مات؟

جان كوكتو

ولأن الشعر للتيارات المعادية له مجرد انفعال وتخييل، فهو صور وإيحاءات تثير الانفعال من دون أن تفصح عن معنى محدد. ولهذا لم يعُدْ له مكان في هذا العصر الذي ازدهر فيه العلم، وأصبح كلّ شيء موضوعاً للبحث والمناقشة والمنطق، ونحن نرى أن الشعر لم يعُدْ يحتلّ في هذه الأيام المكان الذي كان يحتله من قبلُ. فهل نسلّم بأن الشعر مات، وبأنه لم يعد ضرورة، ولم يعد مَطْلبًا؟ أم أن تراجع الشعر له أسباب ليس من بينها استغناء الناس عنه، وأنه لا يزال حيّاً قادراً على مواصلة حياته، ولا يزال ضرورة ومَطْلباً، وأن علينا أن نبحث عن العقبات التي تمنعه من الوصول للناس، وأن نذلّل هذه العقبات؛ ليزدهر الشعر من جديد في الحاضر كما ازدهر في الماضي؟

وأنا أرى من خلال اتصالي بالحركة الشعرية المصرية، ومتابعتي للنشاط الشعري في عدد من البلاد أن الشعر لم يفقد خصوبته وقدرته على إنجاب أجيال جديدة من الشعراء الموهوبين. والعقبة التي تواجهها هذه الأجيال تتمثل في انعدام الوسائل التي تمكنها من الاتصال المنتظم بالجمهور، وتحرمها من هذا الحوار الخصب، وهذا التجاوب الذي لا بدّ أن يتحقق بين الشاعر والجمهور؛ كي يستعيد الشعر طاقته ويملأ مكانه.

ونحن حين نتحدث عن انعدام الوسائل نشير بالطبع إلى ما ترتب على هذه الثورة الالكترونية التي خلقت أجهزة حلّت محلّ الكتاب، وكان لها أثر سلبي على الكتابة والقراءة، وعلى اللغة التي خسرت كثيراً بموت الكتاب، ولم تعد لها تلك السلطة المعنوية التي كانت لها من قبل. ونحن نرى أن النقاد الجدد يتحدثون عن موت الأدب وموت المؤلف!

كيف نواجه هذه التطورات التي تعطل حركة الشعر، وتحول بينه وبين الناس؟

الشعر نفسه هو الذي سيجيب عن هذا السؤال؛ لأن الشعر ضرورة، ولأنه كما قال بول هازار: مطلب أبدي، ولأنه بعد كلّ أزمة يتعرض لها يعود حيّاً من جديد.

أدب الحرب... ملحمة النصر

حقيقة لابد من تبقى راسخة في الأذهان للأجيال كافة ألا وهي أن نصر تشرين الذي حققته سورية هو الذي وضع العالم على مفترق طرق..

الأمة التي كانت تجر أثواب الخيبة تلاحقها الهزيمة وتصبغ أيامها بالسواد..هذه الأمة بفعل التضحية والنصر الذي حققه الجيشان السوري والمصري ومعهما العرب وبغض النظر عن تفاصيل كثيرة ..هذا النصر هو نقطة تحول في مسارات السياسة والثقافة..

وللأسف لم يحسن العرب استثماره تماماً ولا صونه.

واليوم علينا أن نعلن أننا جميعاً مقصرون ..الشعر والرواية والفنون والسينما وغيرها..

لم نكن على مستوى استلهام الحدث إلا قلة من المبدعين الذين سيبقون وستبقى قصائدهم وأعمالهم وساما نتزين به ..وسيبقى تشرين النصر إيقونة الفداء.

ولابد من الإشارة إلى أنّ الدّراسات التي عنيت بأدب الحرب كانت قليلة جدّاً، وقد أشار إلى ذلك مؤلفا كتاب: أدب الحرب، الدكتورة نجاح العطّار، والروائي حنا مينه، صدر الكتاب عن وزارة الثقافة السوريّة عام ١٩٧٦م، ضمن سلسلة الكتب القوميّة وحمل الرقم (١١) وقد جاء في مقدمة الكتاب: هذه فصول في أدب الحرب، كتب بعضها عقب حرب تشرين التحريريّة، وكتب بعضها الآخر بعد ذلك بقليل/ وقد ناقشنا فيها الآراء التي أثيرت آنذاك حول هذا الأدب، وحول دور الكلمة والفعل، وهل من تعارض بينهما، وهل الكلمة في صياغتها لوجدان الفاعل إلاّ فعل أيضاً؟

يرى المؤلفان (ص٣٥) أنّه إذا كانت مهمّة الأدباء، حسب التعبير المعروف أن يهندسوا النفوس البشريّة، فإن هذه المهمّة في الحرب ترتفع إلى مستوى أعلى بكثير من مستواها زمن السّلم، فالحرب باعتبارها استمراراً للسياسة بوسائل أخرى هي فعل طارىء على فعل مقيم، الفعل المقيم هو السّلم، والفعل الطّارىء هو الحرب التي تقطع مجرى السّلم لزمن محدود، ودور الكلمة الذي كان زمن السّلم هندسة النّفس البشريّة، يصبح زمن الحرب تحريض هذه النّفس على العمل بأقصى طاقتها وفق هندستها السّابقة.

بمعنى آخر كما يقول المؤلفان: إذا كان الأدباء زمن السّلم قد عملوا على بناء الإنسان المنتج، الباني، الحارس لإنتاجه وبنائه في مجموع وطنه من عدوان الغير عليه، فإنّ عليهم زمن الحرب أن يدفعوا هذا الإنسان إلى التّضحية دفاعاً عمّا أنتج وبنى، أي وطنه كلّه وشعبه كلّه.

والأدب هذا لونٌ خالدٌ أبد الدّهر، وقائع وبطولات فحسب، بل شاهداً على دور الكلمة فيها، الكلمة التي حاربت وانتصرت لأنّ أصحابها في ساعات المحنة التي عاشتها أوطانهم كانوا مع شعوبهم في خطوط النّار، ومسيرات المقاومة، وفي المصانع والمعامل، ولجان الدّفاع عن المدن المحاصرة التي ارتدت عنها جحافل الغزاة مدحورة.

إنّ الأدب صورة للواقع الإنسانيّ ووعيه، وهو فعل حياة، إنّه وجود متكامل لها، يستمدّ مقوماته من جماع فعل الإنسان فيها، ومن جماع رؤية الكاتب لهذا الفعل الإنسانيّ في ماضيه وحاضره ومستقبله. (ص٤٠).

إنّ الشّعراء في الحروب التي تخوضها شعوبهم لأجل أرضها وحقّها ووجودها، يكونون بين النّاس، لأنّ للشعر كما الفولاذ، خنجراً مرهف النّصل، يقاتل إذ هو يصوغ وجدان المقاتلين، ويكافح إذ هو يدفع بهم إلى الكفاح بروح المفاداة التي ترتفع لتعانق الشّهادة ومنها النّصر. (ص٤٥). وقد اختار المؤلفان نصوصاً من آداب العالم حول أدب الحرب، ومن نص بعنوان: (إلى أمّهات الجنود الذين قتلوا)ص٣٠٩

للشاعر بابلو نيرودا نقتطف: لا.. إنّهم ليسوا بأموات، إنّهم منتصبون وسط البارود، منتصبون كذبالات القناديل المشتعلة، وظلالهم النقيّة ممتزجة بالمرج الفضي ، كستارة مصفّحة من هواء، كسد هائل من لون، كالصّدر نفسه، صدر السّماء الذي لا تراه الإبصار، يا أمهاتهم: أنهم منتصبون في حقول القمر ، شامخون كالظّهيرة التي تبسط ظلّها على المدى | كدقات جرس، كالصّوت الأسود الذي يتعالى من جثث الضّحايا ، ليعلن النّصر.

أيّتها الأخوات اللائي سحقهن الأسى
أيّتها القلوب التي هدّها الحزن: آمنّ بأبنائكنّ الذين ماتوا
إنّهم ليسوا سوى جذور تحت الصّخور المصبوغة بالدمّ
وعظامهم المسكينة المنثورة لم تختلط بالثّرى
وأفواههم ما فتئت تعضّ البارود الجاف
وكخضم من حديدٍ ما فتئوا يرتعشون
وقبضاتهم المرتفعة عالياً تتحدى الرّدى
من هذه الحياة المتساقطة تتشامخُ حياةٌ لاتُقهر
أمّهات وأطفال ورايات، كلّها كيانٌ واحدٌ حيّ كالحياة
ووجهٌ خافقُ العينين يراقبُ الظّلمات
وسيفه المصلتُ تنفخه آمال التّراب
اخلعن أرديةَ الحداد، ووحْدن دموعكن
وحُدنها حتّى لاتغدو فولاذاً
فهناك..سنضرب ليل نهار
هناك سندقّ الأرض بأرجلنا ليل نهار
هناك سنبصق ليل نهار
إلى أنّ تندك أبواب الضغينة وتنهار
لن ننسى آلامكنّ فأنا أعرف ابناءكنّ
وأعتزّ بهم أمواتاً
إنّ ضحكاتهم تنير المعامل
وفي المترو ترنّ خطاهم إلى جانبي
كلّ يوم
وفي برتقال المشرق وشبّاك الجنوب
في مداد المطابع وورش البناء
ألمح قلوبهم تتوهج بالنشاط واللهب
أيّتها الأمهات:
إنّ في قلبي كثيراً من الموت والأسى
كما في قلوبكن
فهو كغابة أخصبها الدم الي غيض بسماتكن
واقتحمها ضباب اليقظة الخانق
والعزلة الممزقة، عزلة الأيّام
وبدلاً من أن تصغي إلى الضّياع
وإلى الغطيط الوحشيّ
الذي يعوي بشتائمه الدّنسة
وإلى غضب الازدراء والشّكوى
بدلاً من أن تصغي إلى كلّ ذلك
أيّتها الأمهات اللاتي أضناهن الانقباض والموت
تطلعن إلى قلب الفجر النّبيل الذي يولد
واعلمن أنّ موتاكنّ ينسحبون من هذه الأرض
وأنّ قبضاتهم المرتفعة ترتعش فوق حقول القمح (ص ٣٠-٣١٢)

ويقدّم الكتاب مختارات من الشّعر المقاوم في العالم، من الصين وفيتنام والوطن العربي.

ويمكن الإشارة إلى أنّ دار التقدم، موسكو، كانت قد أصدرت مختارات من أشعار مقاومة عام ١٩٧٦م ترجمها إلى العربيّة أبو بكر يوسف وماهر عسل، وجيلي عبد الرحمن، وفي الكتاب عددٌ كبيرٌ من من القصائد التي كتبها الشّعراء الروس من أجل الحريّة

ومن قصائد آنّا أخماتوف (١٨٨٩-١٩٦٦م)

تقول آنا اخماتوفا: عشت في طشقند وأنا أتحرّق شوقاً لالتقاط أخبار لينينغراد والجبهة، وكغيري من الشّعراء ألقيت أشعاري مراراً للمقاتلين الجرحى الذين يعالجون في المستشفيات...كانت الأشعار هي رباطي بالعصر وبالحياة الجديدة لشعبي (ص٢٤) وعندما كنت أكتبها كنت أعيش على تلك الإيقاعات التي تتردد عبر التّاريخ البطوليّ لبلادي، وإنّي لسعيدة، إذ عشت هذه السّنوات ورأيت تلك الأحداث التي ليس لها نظير..

ومن المختارات أيضاً ما قدمه الشّاعر الفلسطينيّ الرّاحل هارون هاشم رشيد، في كتابه (الشّعر المقاتل في الأرض المحتلّة) وقد صدر عن المكتبة العصريّة في بيروت وصيدا، دون ذكر تاريخ، وهو يقدّم مختارات من شعر الأرض المحتلّة لـ/ محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، راشد الحسين، حبيب قهوجي، حنا أبو حنا، عيسى اللبواني، أماني الشيّاب.

ترى يمكننا هنا أن نطرح سؤالاً مهمّاً، هل كان الشعراء السوريون في الحرب العدوانيّة على سورية في خندق المواجهة، ماذا قدّموا وماذا فعلوا؟

حرب تشرين على الشاشة

فؤاد مسعد

انتصار الإرادة والعقل في حرب تشرين التحريرية أسقط القناع الذي سعى الكيان الصهيوني إلى زرعه في النفوس لسنوات وسنوات، وتحطيم خرافة أسطوريّة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر لتكون هزيمته مدوية على يد بواسل جيشنا، هي حرب العزة والكرامة التي قلبت الموازين وغيّرت وجه التاريخ المعاصر في المنطقة كلها فأعادت كتابته من جديد، وعززت ثقة الإنسان العربي بنفسه وبمقدرته، فكان أن سطر الجيش العربي السوري بعزيمته وقوته وعقيدته أروع ملاحم البطولة والمجد والإباء والتضحية، وشكلت حرب تشرين الملهم للكثير من المبدعين في مختلف المجالات الإبداعية، فسعوا عبر نتاجهم إلى محاولة التقاط مفرداتها وما أفرزته على الأرض من واقع جديد كان لا بد من أن تحاكيه أعمال تنهل منه وتقدمه بصورته المشرقة ضمن إطار يترجم اللحظة بحميميتها وعمق صدقها وتفاعل الناس بها والتفافهم حولها، فسعى كل مبدع من موقعه لأن يحتل مكانه على خارطة النصر ليكون شريكاً فيها بشكل أو بآخر من خلال ما يقدم، فالنصر الذي تحقق كان للأمة كلها وما المبدع إلا جزء منها.

سرعان ما أنجزت أعمال درامية تلفزيونية أبرزت ما جرى في حرب تشرين وعكست الانتصارات التي حققت خلالها عبر أعمال جاءت عفوية صادقة تحمل قدراً كبيراً من شعور التلاحم بين أفراد الشعب والمقاتلين في الجيش العربي السوري، هؤلاء المقاتلون الذين سطروا ملاحم البطولة عهدهم الانتصار لوطنهم مؤكدين أنهم هم من يصنع الفعل ومن يقول كلمة الحسم في أرض الوغى، سعيهم الشهادة المكللة بالغار.

هذه الصورة النبيلة التي يقدمها المقاتل السوري سعت الدراما التلفزيونية إلى إبرازها من خلال مجموعة أعمال أتت بعد انتصارات حرب تشرين التحريرية، حملت معاني خالدة مُتجددة مجسدة البطولة والشهادة والإباء وأهمية المقاومة كما أظهرت عظمة سورية وعراقتها، وكيف يستبسل المقاتلون على الجبهة للدفاع عن الوطن فلا يأبهون للثمن حتى وإن كان حياتهم، ومن أهم ما ميّز أغلبية الأعمال تقديمها محور الحرب ضمن إطار حكاية اجتماعية وإنسانية مُشبعة بالروح الوطنية، ففي لحظة قد تجد أن أي مواطن يتحول إلى جندي حقيقي صلب يدافع بشراسة عن وطنه.

هي محاور أساسية أكدت عليها العديد من الأعمال، منها التمثيلية الدرامية الأشهر (عواء الذئب) المأخوذة عن قصة حقيقية والتي أنتجها التلفزيون السوري عام ١٩٧٤ في ذكرى حرب تشرين التحريرية، وهي من إخراج شكيب غنام، وتأليف خالد حمدي الأيوبي، وبطولة صلاح قصاص ورضوان عقيلي وسلوى سعيد وعدنان عجلوني، وقد جاءت التمثيلية مشحونة بدفق من المشاعر الوطنية التي تلامس الوجدان بدفء وحميمية، وفيها تحول (ديب بو عمر) من مُهرب ومتهم بالقتل ومطلوب للعدالة يختبئ في الجبال إلى مناضل تثور ثائرته عندما يجد الطيار الاسرائيلي الذي سقطت طائرته بصاروخ أطلقه سلاح الطيران السوري، فيأسره ويبلّغ عنه رافضاً كل الإغراءات التي قدمها له الإسرائيلي لتهريبه وغير آبه لعواقب ما يفعل حتى إن وصل إلى حبل المشنقة، فالموت خير من الخيانة.

ومن الأعمال التي بقيت في الذاكرة أيضاً تمثيلية (العريس) إنتاج عام ١٩٧٥ وإخراج شكيب غنام وبطولة صلاح قصاص وأحمد عداس وسلوى سعيد، وتناولت حكاية شاب سيتزوج قريباً، وأثناء استعداده للزفاف يناديه الوطن فيلبي النداء ويستشهد فما كان من والده لحظة تلقيه النبأ إلا أن رفض إقامة التعازي وأقام له عرساً كبيراً فابنه استشهد من أجل الوطن. أما العمل الدرامي (حكاية من تشرين) فكشف عن جبن الجندي الإسرائيلي ورصد الانتصارات التي حققها جيشنا على الجبهة، وهو من إنتاج عام ١٩٧٩ وإخراج هاني الروماني وتأليف عدنان حبال، وفي تمثيلية (شجرة الورد) إنتاج عام ١٩٨١ تأليف وإخراج محمد الطيب تم تناول حكاية شاب يعتني بشجرة ورد في منزله ويستشهد في الحرب، وفي (الولادة الجديدة) إنتاج عام ١٩٨٤ وإخراج غسان باخوس وتأليف إلياس إبراهيم تم رصد كيف يرمي الناس أحقادهم كي يتوحدوا للمشاركة في معركة الشرف والذود عن الوطن، وفي عام ١٩٩٠ تم إنجاز (سهرة من تشرين) وكانت مؤلفة من خمس سهرات تلفزيونية بإشراف المخرج شكيب غنام.

وضمن إطار الأفلام السينمائية في المؤسسة العامة للسينما فقد تم إنجاز العديد من الأفلام الروائية التي غالباً ما جاء موضوع حرب تشرين فيها ضمن خطوط العمل وإطاره العام عبر إظهار الإرهاصات الاجتماعية والإنسانية والسياسية التي سبقت الحرب أو تداعياتها وانعكاساتها اللاحقة، أو أن يتم استحضارها من خلال ذكرى وحوار، وعلى سبيل المثال فيلم (الأحمر والأبيض والأسود) إخراج بشير صافية دارت أحداثه فترة ما قبل حرب تشرين بشهر واحد ولكن دخلت أيام الحرب هذا النسيج، ومن الأمثلة الأخرى فيلم (حنين) سيناريو سامر محمد اسماعيل وإخراج يزن أنزور وعلي الماغوط وكوثر معراوي وسيمون صفية. وفيما يتعلق بالأفلام الوثائقية والتسجيلية فقد تناولت إنجازات الجيش العربي السوري خلال حرب تشرين التحريرية، حيث قدم المخرج الراحل وديع يوسف ثلاثة أفلام تسجيلية هي: فيلم (وجاء تشرين) تحدث فيه عن تضحيات رجال الجيش العربي السوري وتحرير المرصد ورفع العلم السوري عليه، فيلم (الصمود) يحكي عن صمود الجبهة الداخلية وكيف تعاطى الناس مع أخبار الحرب، فيلم (القتلة) ونتابع من خلاله مقابلة مع طيار إسرائيلي قام بقصف أهداف مدنية في دمشق خلال الحرب ليشكل برهاناً إضافياً على مدى إجرام العدو. أما المخرج فيصل الياسري فأنجز فيلمين هما (أهداف استراتيجية) (لعب أطفالنا الجديدة)، كما قدم المخرج الراحل مروان حداد فيلم (العودة)، وهناك فيلم (حصاد تشرين) إخراج منير جباوي و(الدرع الحصين) إخراج بشير صافية.

حقق كل من قسم السينما في الجيش العربي السوري ودائرة الإنتاج السينمائي في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون أفلاماً عن حرب تشرين التحريرية، ومما قدمه التلفزيون (مهمة خاصة، الأرجوحة، صفحات من قصة الجولان، القنيطرة حبيبتي، القنيطرة ٧٤ ، تحية من القنيطرة، القنيطرة قصة مدينة). ومما قُدمه قسم السينما في الجيش (حول معارك تشرين، التحرير، النازية الجديدة، معرض تشرين الخاص، أهلا بكم في دمشق، جولان جبل الشيخ، حتى لا ننسى، تل الفرس).

إنّ وجهك أحلى بكثير... ما سره تشرينُ..؟!

أتراها تُحبني مَيسونُ
أم توهّمتُ والنساءُ ظنونُ
كم رسول أرسلته لأبيها
ذبحته تحت النقاب العيونُ
يا ابنة العم والهوى أمويٌ
كيف أخفي الهوى وكيف أُبينُ
كم قُتلنا في عشقنا وبعثنا
بعد موت وما علينا يمينُ
ما وقوفي في الديار وقلبي
كجبيني قد طرزته الغصونُ
لا ظباء الحمى رَدَدْنَ سلامي
والخلاخيلُ ما لهنّ رنين
هل مرايا دمشق تعرفُ وجهي
من جديد أم غيرتني السنينُ ؟
يا زماناً في الصالحية سمْحاً
أين منّي الغوى وأينَ الفتونُ ؟
يا سريري ويا شراشف أمّي
يا عصافيرُ .. يا شذا.. يا غصونُ
يا زواريب حارتي خبئيني
بين جفنيك فالزمان ضنينُ
واعذريني إذا بدوتُ حزيناً
إن وجه المحبّ وجهٌ حزينُ
هاهي الشام بعد فرقة دهر
أنهر سبعةٌ .. وحورٌ عينُ
النوافير في البيوت كلامٌ
والعناقيد سكر مطحونُ
والسماءُ الزرقاءُ دفتر شعر
والحروف التي عليه.. سنونو ..

هل دمشق كما يقولونَ كانَتْ
حين في الليل فكر الياسمين ؟
آه يا شام كيف أشرح ما بي
وأنا فيك دائماً مسكون
سامحيني إن لم أكاشفك بالعشق
فأحلى ما في الهوى التضمين
نحن أسرى معاً وفي قفص الحب
يعاني السجانُ والمسجونُ
يا دمشقُ التي تقمصتُ فيها
هل أنا السروُ .. أم أنا الشربينُ ؟
أم أنا الفلُ قي أباريق أمّي
أم أنا العشبُ والسحابُ الهَتون
أم أنا القطة الأثيرةُ في الدار
تلبي إذا دعاها الحنينُ ؟
يا دمشق التي تفشّى شذاها
تحت جلدي.. كأنه الزيزفونُ
سامحيني إذا اضطربت فإني
لا مقفّىً حبي ولا موزونُ
وازرعيني تحت الضفائر مشطاً
فأُريك الغرام كيفَ يكونُ
قادمٌ من مدائن الريح وحدي
فاحتَضنّي كالطفل يا قاسيونُ
احتَضنّي .. ولا تناقش جنوني
ذروة العقل يا حبيبي الجنونُ
احتَضنّي .. خمسين ألفاً وألفاً
فمع الضم لا يجوزُ السكونُ
أهي مجنونةٌ بشوقي إليها
هذه الشامُ أم أنا المجنونُ

حاملُ حبها ثلاثين قرناً
فوق ظهري وما هناكَ معينُ
كلمّا جئتُها أردّ دُيُوني
للجميلات حاصَرَتني الديونُ
إن تخلّت كلُ المقادير عني
فبعَيْن حبيبتي .. أستعينُ
يا إلهي جعلتَ عشقيَ بَحراً
أحرامٌ على البحار السكونُ
يا إلهي هل الكتابة جرحٌ
ليس يُشفى أم ماردٌ ملعونُ
كم أعاني في الشعر موتاً جميلاً
وتُعاني من الرياح السفينُ
جاء تشرين يا حبيبة عمري
أحسن الوقت للهوى تشرينُ
ولنا موعدٌ على (جبل الشيخ)
كم الثلج دافئٌ .. وحنونُ
لم أعانقك من زمان طويل
لم أحدّثك.. والحديثُ شجونُ
لم أغازلك والتغزلُ بعضي
للهوى دينُهُ.. وللسيف دينُ
سنواتٌ سبعٌ من الحزن مرت
ماتَ فيها الصفصافُ والزيتونُ
سنواتٌ فيها استقلتُ من الحب
وجفت على شفاهي اللحونُ
سنواتٌ سبعُ بها اغتالَنا اليأسُ
وعلْمُ الكلام.. واليانسونُ
فانقسمنا قبائلاً .. وشعوباً
واستبيحَ الحمى وضاع العرين

بقافلةٍ من الريح

بديع صقور

يموتون لنبقى .. نموت ليبقوا غداً..
يبقون غداً ليموتوا بعد غد ..
وماذا بعد .. بعد غدٍ؟! (الكلُّ قبضُ ريح)
أحنُّ لصوت أمي
أتوق لحزنها الممتد من أعماق سنبلةٍ
إلى حضن بسملة على نهر المغيب.
أتوق لحزنها..
أحنُّ للمسةٍ من يدها
حنين البساتين لشربة ماء.
أحنُّ لحزن اليمام..
يشدني ولهي
ينوس ضوء المواويل
ولامن يردُّ إلى تلك العشيات
نسائمها..
موت يشتتُ شمل العصافير
موت يباعد شملنا..
الحرب تباعدنا..
نُضيّع دربنا ،وما من لقاء....
همس في الغياب..
لم يقل لنا الطير شيئاً
تبرعم الموال يا أمي
على غصن حزن
و«يابات الليل علْ خلْيل ما بان..
ويا ريت الضو لا جهجه ولا بان»..
وتعالى أنين المتعبين
طارت عصافير الشمس،
وحط اليمام على أغصان الأصيل
هو الحزن يا أمي يجرجرنا
على شطآن المقابر..
موت على الباب
موت في الظهيرة
موت في الهواء
موت على الجهات..
وعلى الممرات جهاديون
وليلٌ !!
وحده الحزن يدق نوافذ الغد..
نودّع من كانوا زهور الأمس
من ذبلوا كأوراق الغدِ..
نودّعهم بسيل من الدعواتِ،
وبما تبقى لنا من دموع.
رحل النواطير يا أمي
وانهدمت خيام من رحلوا،
أو رُحِّلوا
و«عيد بأيةِ حالٍ عُدت ياعيد؟؟»..
بكوكبة من الشهداء؟!
بقافلة من الريح؟!
أم بمن غادروا حضرة الماء،
وبما ضمّ التراب؟؟
وما من درب لتجمعنا
زهور غَدِنا ذَبُلت،
وأمسنا غدا أمسنا..
وليت الذي غاب، يعود..

استمتع بالطريق

ميسون حداد

كانت الحافلة تقلّنا إلى «مركز مخيمات» في إحدى القرى المتربعة على سفح جبل لبنان.

لم تكن يومها خدمة «jps» متاحة بعد، الحافلة ضلّت الطريق، وعبرت بنا طريقاً معاكساً شقّ وجوده بين جنبات طبيعة بكر، وأحجار اصطفت بمهارة لتشكل منازل كقصص ألف ليلة وليلة.

تأخرنا ساعتين عن موعد الوصول، علت الأصوات مستنكرة تعب السفر، وضياع الوقت، ولكني كنت مأخوذة بجمال الطبيعة والتناغم في هذه القرى، جمال يأسر، واستغربت كيف تمكن التوتر من أصدقائي وحجب عنهم ما تقدّمه «بكفيا» وجاراتها من سحر ينعش القلب ويحيي الروح.

كلّ الفرق يكمن أني قرّرت أن «أستمتع بالطريق».

منذ يومين جاءت لزيارتي من بلاد الغربة، والمغتربون يجدون في كلّ وجه محب، وطنا، لقاءتنا على قلتها لا تشبه زيارات العابرين، بل تلتقي فيها الروح بالروح، تبادلنا الحديث، أفراحنا، أحزاننا، نجاحاتنا، خيباتنا، وتبادلنا منابع القلق.

الأحباء في اللقاء، نتبادل معهم أنفسنا، الهدية الأثمن التي نقدّمها ليكون لفنجان القهوة طعم الشراكة.

حدثتني عن التغييرات في حياتها من سفر وزواج، في فترات التغيير نفتقد الأرض الصلبة، لكن الحياة تقدّم لنا هداياها، بطرق غريبة.

نضع أهدافنا وتصوراتنا، ونسعى لها، ولكن متعة الحياة تكمن في السعي، في عيش التفاصيل، في الطريق..

رغبة الوصول قد تحجب عنا جمال المسيرة فلا نعير انتباهاً للجمال العابر.

ودّعتها وأنا أردّد على مسامعها ومسامعي..

«استمتعي بالطريق»

خلوت إلى نفسي، قلت في سرّي، كيف لي في هذه الظروف التي لا زلت أمرّ بها أن أستمتع بالطريق؟

بعد خضوعي لعمل جراحي من المفترض أن أعاود نشاطي بعده بأسبوعين أو ثلاثة على الأكثر، أقعدتني مضاعفات العملية ضعف المدة، ناهيكم عن الآلام المبرحة التي لم تكن بالحسبان.

وسألت نفسي: أين متعة الطريق في هذه التجربة المستمرة؟

لا متعة في الألم، إنما هو معلم من الطراز الرفيع، حيث دروسه خصوصية خاصة، ولكنها بنتائج مبهرة إن أجدنا الفهم.

كنت مُصرّة أن أبحث عن الجمال في هذه الرحلة التي لم تبلغ نهايتها، كمن يستطلع زهوراً في الأرض الوعرة.

أو ليس للأرض الوعرة جمالها؟؟

عندما تكون عاجزاً ولو لبرهة، تعنيك كلّ التفاتة حبّ، كلّ تقدمة من وجه باسم وقلب معطاء، كل إطلالة من صديق أو قريب..

متعة أن تلمس الحب وسط العاصفة، متعة نادرة اليوم، متعة أن تتذكر الآلام وكيف عبرتها، هذه هي متعة أن تكون جديداً.

متعة أن تعرف كيف تلمس رحمات الله اللطيفة في أدق وأعقد التفاصيل، هذه هي متعة طمأنينة القلب.

فكان خضم أوجاعي بابا لأستمتع بالمحبة والتجدد والطمأنينة.

فأينما كنت وحيث أخذتك الحياة لتعبر، بين الجبال، في حقل ورود، أو في قلب العاصفة..

«استمتع بالطريق».